الشيخ أبو الحسن الندوى والقومية العربية

للأستاذ الدكتور ظهور أحمد أظهر

ولقد كانت القومية العربية من الموضوعات المعاصرة الهامة التى شغلت بال الشيخ الندوى، رحمه الله، واحتلت ذهنه فآلمته كثيرا فتناولها حديثا وبحثا ودراسة ونقدا، وتقدم للعرب باقتراحات مفيدة بناءة تهدف إلى إنقاذ أمة الإسلام من مأزق هذا المرض الخبيث الموذى الذى يعارض ما جاء به النبى الأمى العربى صلى الله عليه وسلم من شريعة العدل والعلم والسلام والمساواة والوحدة البشرية الشاملة، وكان – كما رأيته– ينتهز كل فرصة تتاح له للضربة القاضية على الدعوة الجاهلية إلى فكرة إبليسية فرعونية، تلك التى سموها قومية أو وطنية والتى فرقت شمل الأمة وحالت دون دورها القيادى الذى أخرجت له أمة الإسلام، أمة الوحدة والمساواة وأمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة إلى السعادة والخير!

وإنى لأذكر لقاءنا التاريخى عام ١٩٩٨م مع الأمير حسن بن طلال فى قصره بعمان الأردن حيث اجتمعنا على مادبة الغداء من قبل سموه وكانت قد أقيمت تكريما للشيخ الندوى ورفقائه من أعضاء مجلس الأمناء لرابطة الأدب الإسلامى العالمية، وقد حضرها رئيس وزراء الأردن وزملاؤه

من الوزراء وأعضاء البرلمان الأردنى، فجرى الحديث العادى العام عن القضايا المختلفة التى تخص العرب والمسلمين وقد استمعت ، ولأول مرة، إلى حديث سموالأمير حسن فأعجبت به إذ كان حديثا شيقا ممتعا قد دل على علمه الغزير وسعة معلوماته القيمة كما أنه دل على بلاغة الأمير وقدرته على التعبير بلغة الناطقين بالضاد واهتمامه بقضايا العرب والمسلمين، فانتهز الشيخ الندوى الفرصة المتاحة له فتحدث بالمناسبة عن تاريخ العرب القديم وبما خصهم ا لله بنزول القرآن الكريم والبعثة المحمدية فيهم ، الحدث التاريخى الذى صنع التاريخ فكون أمة موحدة قوية قاهرة وكانت عبارة عن شتى القبائل المتعادية المتناحرة كما أنه وحد بين لهجات العرب المختلفة فكون منها لغة موحدة خالدة قد ضمن لها الكتاب العزيز بقاء طويلا وحياة دائمة، وبه أصبحت لغة العلوم المختلفة والآداب الواسعة والمعارف الجمة ، و استطاعت تلك الأمة أن تبنى دولة عظيمة قد امتدت فى وقتها فاستوعبت ثلاث قارات من الأرض وانتصروا على قيصروكسرى وقضوا على امبرا طور يتيهما، كما أنهم قاموا بخدمات جبارة فى كل مجال لا تزال موضع إعجاب وتقدير وفخر واعتزاز للبشرية كلها، وهذه المكانة المرموقة وهذا الدور القيادى لم يتمكن منه العرب على أساس قوميتهم العربية وإنما يرجع الفضل كله فى ذلك إلى ما جاء به الرسول العربى صلى ا لله عليه وسلم من شريعة العدل والمساواة ورسالة الأمن والسلام والأخوة الإسلامية، فالعرب مدينون له صلى ا لله عليه وسلم وهم ليسوا بشئ دون اتباع شريعته والإطاعة له ، وإنهم لن يتمكنوا من تحقيق أهدافهم واستعادة مجدهم الذاهب إلا إذا رجعوا إلى ما جاء به محمد صلى ا لله عليه وسلم! فأما القومية العربية فإنما هى هتاف فارغ ونعرة

مدسوسة تهدف إلى تضعيف العرب وتفريقهم وتشتيت شملهم فقد أصبح العرب أمة منتصرة بالإسلام وبه سيستعيدون مجدهم الذاهب وشرفهم السليب!

وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ناقدا اجتماعيا منصفا ولقد أصاب وانصف حين رأى بأن الله عزوجل قد أعز العرب وأكرمهم بالإسلام فقد كانوا رعاة الغنم والإبل فشرفهم الله جل وعلا ببعثة النبى محمد صلى الله عليه وسلم فجعل منهم رعاة الأمم وحكامها وأصبحوا روادِ العلم والحضارة وملكوا مشارق الأرض ومغاربها! ثم تخلفوا عن ركب الحضارة التى أخذ رايتها غيرهم من الأمم المعادية لهم فقهرتهم تلك الأمم ولقنتهم دروس القومية العمياء فأخذوا يتقاتلون ويضرب بعضهم رقاب بعض ولا يزالون كذلك، إن أعداءهم يريدون بهم الشر والضرر ويودون أن يعيدوهم إلى جاهليتهم وإلى بداوتهم وصحاراهم وإلى أغنامهم وجمالهم ورمالهم، ولن يتمكنوا من استعادة مجدهم الذاهب إلا بالرجوع إلى الإسلام ففيه عزهم وشرفهم بل فيه لهم كل خير! ويقول لهم الشيخ الندوى رحمه الله(١): إننى أؤمن ، أيها الإخوة الكرام، أن محمدا صلى الله عليه وسلم منذ بعث، هو نبى كل جيل وإمام كل عصر، وأن دينه الذى جاء به سفينة نوح فى كل طوفان، وأن لاعاصم من أمر الله إلا من رحم والتجأ إلى هذه السفينة!، ولا أقول ذلك عن تقليد وعصبية إنما أقول ذلك - علم الله بعد دراسة وبينة من الأمر واقتناع علمى. وإنما تتشرف الأمم والجماعات والأفراد والأشخاص ويكتب لها البقاء والخلود والعزة والنصر باتباع هذا النبى الكريم والاعتزاز بدينه والتمسك بأهدا به وحمل رسالته وأمانته!"

والحقيقة إن فكرة الوطنية أو القومية المتعصبة المتطرفة ليست باكتشاف ولا إبداع تمكنت منه المدنية الغربية المعاصرة كما أنها ليست نعرة حديثة أز هتافا مبتكرا قد ابتكره الإنسان الغربى الأبيض فراح ينادى به ويغنى بمجده فى نواديه الليلية المتدفقة بالفسق والفجور وبالفواحش والمناكير او أخذ يعلن به فى مستعمراته الشرقية التى ظل ينهب ثرواتها ويمتص خيراتها إلى آخر حبة من حباتها أو قطرة من دمائها، تلك المستعمرات الشرقية فى آسيا و افريقيا، التى احتلها الاستعمار الغربى الغاشم بالمكر والخداع والدسائس والمؤامرات والتى حكمها بالنار والأصفاد والظلم والطغيان واستعبد شعوبها المغلوبة على أمرها واستخدمهم من أجل تحقيق أغراضه واستغلهم لإرضاء رغباته و تحقيق مصالحه!

وقد تحررت هذه المستعمرات الآسيوية والإفريقية تحررا رسميا بعيد الحرب العالمية الثانية التى كانت نتيجة الصراع القومى المرير والتى كانت وليدة القومية المتعصبة المتطرفة التى ابتليت بها المدنية الغربية المعاصرة! إن هذه المستعمرات الشرقية قد تحررت تحررا رسميا ، دون تحرر حقيقى ، وذلك لأنها لا تزال تئنّ أنينا محزنا مخزيا تحت وطأة ما خلفه الاستعمار الغربى فيها من الآثار السلبية السيئة المؤلمة ومنها القومية المتطرفة، إن هذه الآثار السيئة الاستعمارية تشبه آثار الجدرى على وجه الإنسان المصاب بهذا المرض الخبيث من التشويه والتقبيح مدى الحياة على حد تعبير الملك الراحل فيصل بن عبدالعزيز ، رحمه الله!

فقد لقن الاستعمار دروس القومية المتطرفة للشعوب المستعبدة المقهورة كلها فى آسيا و أفريقيا فجعل منها الثعابين الخبيثة والوحوش

الضارية فلا تزال تعض وتنهش بعضها البعض أو تتقاتل وتتناحر فيما بينها! إنهم يضربون رقاب بعضهم البعض على توافه الأمور ولا لسبب غير أنهم يختلفون فيما بينهم فى الأنساب والأجناس فهذا من قبيلة وذلك من قبيلة أخرى وهذا يرجع جنسه إلى الأكراد وذلك يجرى فى عروقه الدم التركى! إن الاستعمار الغربى قد خص بهذا المرض العضال من القومية المتطرفة أمة الإسلام فألقى العداوة والبغضاء بين شعوبها! إنه حرض الأتراك ضد الإيرانيين كما حرض العرب ضد الأتراك والإيرانيين وأنساهم أنهم أمة الإسلام و أنه تربط بينهم الأخوة الإسلامية الخالدة!

تلك الأخوة الخالدة والرباط المقدس الذى قضى على أمراض البشرية كلها ومنها القومية أو الوطنية المتطرفة وهى من الأمراض الخبيثة التى تصاب بها البشرية بين حين وآخر ينشأ من الحقد والحسد ويغرسه الشياطين من الإنس فى نفوس الأمم البريئة الصحيحة الآمنة المطمئنة فإذا بها تثور ضد أبناء جنسها من بنى آدم ، وإن القومية المتطرفة هى عبارة عن الهتافات الرنانة الفارغة والنعرات المثيرة الزائفة التى يثيرها المستبدون الظالمون فى نفوس شعوبهم ليستغلوها من أجل مصالحهم الشخصية من إرضاء شهواتهم! إنهم ينادون بهذه الهتافات والنعرات فيحرضون شعوبهم ويثيرون قبائلهم فإذا بالكبريعتم العقل تعتيما والغرور يغمر الأبصار ويعمى الأنظار وإذا بالفساد يعم الأرض كلها، برها وبحرها وجوها ، فتكون الفتن والحروب ويعقبها البوار والدمار! فهذه هى القومية المتطرفة والوطنية الجاهلة بالأمس واليوم! وذلك هو الهتاف الرنان الزائف والمرض العضال قد أصيب به الغرب بعد نهضته العلمية فغرسه فى جسد الأمة الإسلامية ليفرقها ويمزق وحدتها! وهذه هى القومية المتطرفة الزائفة التى قد عارضها

شيخنا أبو الحسن الندوى كما عارضها قبله شاعر الإسلام العلامه محمد إقبال، رحمه الله وغيرهما من الزعماء!

إن مرض القومية المتعصبة المتطرفة، وإن أصيب به الغرب المسيحى الصليبى أولا فى عصرنا الحديث بعد النهضة العلمية الحديثة، إلا أنه مرض مزمن عتيق قد أصيبت به البشرية غير مرة عبر العصور، وهو يرجع إلى خوف موهوم يحس به الإنسان الطامع الحريص حين يرى البعض من أبناء جنسه أنهم يتمتعون بنعم قد حرم هو منها أو يراهم يشاركونه فيما يتمتع به من النعم وأنهم سوف يتقا سمونها أو يخطفونها منه فيحقدهم ويريد أن يبعدهم عنه أو يطردهم فحينئذ يحتاج إلى حيلة أو وسيلة فيبتكر نعرة أو هتافا يجذب بها بنى جلدته ليتابعوه ويناصروه و يؤزروه فيصبح الهتاف حركة ثم تتحول الحركة إلى ثورة والثورة إلى فتنة وفساد إن لم تقم الحركة أو الثورة على المبادئ العادلة وللقضاء على الظلم والعدوان وإذا كبرت الفتنة وعم الفساد قامت الحرب الميتمة المأيمة التى يعقبها البوار والدمار وتلك هى الخلفية التى كانت وراء الحربين العالميتين الماضيتين!

فالقومية المتطرفة ، إذن، ليست حديثة العهد كما أنها ليست نعرة مبتكرة ابتكرها الغرب المسيحى الصليبى أو الإنسان الأبيض الأوربى وإنما هى قديمة قد ابتليت بها البشرية بين حين وآخر فعرقلت سيرها على الصراط السوى وهدمت قصر المدنية العملاق الذى ظل الإنسان يبنيه طوال القرون إلا أن الإنسان الأبيض، بعد أن مر بتجربة مريرة من القومية، قد جاء يجرجرثومتها ليغرسها فى جسد الأمة الإسلامية ففرقت بين أعضائها وشتت شملها ثم راح يلقن درسها للشعوب الإسلامية المتخلفة المستعبدة من العرب والفرس والأتراك! إن الإنسان الأبيض ، الذى لا يزال

يكابد من العقدة الصليبية حتى اليوم، يحاول دائما أن يجرب الهتافات الزائفة المضلة وجراثيم الأمراض الاجتماعية الخلقية على عقول المسلمين كما أنه قد تعوَّد أن يجرب كل دواء يكتشفه على الفيران ولكنه يجرب كل سلاح خطير يبدعه على أجساد المسلمين فى فلسطين و كشمير والبوسنه وكوسوفو والشيشان وخلال عاصفة الصحراء الاخيرة فى الشرق الأوسط!

إن الإنسان الأوربى الأبيض قد جرب فتنة القومية على عقول أمة الإسلام فكبدها الأضرار والخسائر لا تعد ولا تحصى ولا يعرف حدودها وثغورها إن فتنة القومية قد ضر المسلمين أكثر مما ضرهم الاستعمار الغربى الغاشم الذى فرض عليهم العبودية والذل و الحرمان إلى مئات السنين! إن العداوة والبغضاء التى ألقاها الاستعمار بين العرب والأتراك وبين الفرس والعرب وبين الأتراك والفرس سوف يبقى إلى يوم القيامة وإن خمد أوارها وخفيت أضرارها بحكم لأخوة الإسلامية الخالدة! إن فتنة القومية التى تعذب بها العرب والفرس والاتراك وذاقوا مرارتها ولا يزالون، قد كانت فتنة كبرى لا تقل خطورتها عن الكوارث التاريخية الكبرى التى أصيب بها البشرية عبر العصور!

وهذه القومية المتعصبة المتطرفة مرض عضال وعتيق قد مرت به البشرية غير مرة فى جاهليتها الأولى وفى القرون المظلمة كما أن الإنسان المعاصر قد مربه وذاق مرارته خلال قرننا المنصرم الميلادى العشرين! إلا أن فكرة القومية المتطرفة العمياء هى فكرة إبليسية قد ابتكرها إبليس اللعين والشيطان الرجيم فهو الذى اختلقها ونادى بها ولأول مرة فى تاريخ الحياة الكونية فهو مبدعها وأبو عذرتها! إن إبليس اللعين الحاقد قد أبى وتجبر

واستكبر حين أمره الله عزوجل أن يسجد لآدم فخالف أمر ربه وعصاه وقال إنه خير وأفضل من آدم الذى لا يستحق هذا الشرف الذى خصه به ربه لأن جنسه أدنى وأحقر من جنسى أنا إبليس! فقد خلقت من نار وخلق آدم من التراب المهين! إن جنسى وقومى أفضل من آدم وأبنائه! إن القومية المتطرفة العمياء ، إذن، فكرة إبليسية منشأها الحقد والكمد والنفرة والبغضاء! وأن إبليس اللعين هو إمام القوميين وقائدهم كما أنه إمام المستكبرين ورائدهم فى تاريخ الكون كله وهو أول من احتقر جنسا غير جنسه وكره قوما غير قومه!!

وأما إذا أردنا أن نطلع على أقدم دعوة إلى القومية المتطرفة فلسنا فى حاجة إلى كبير مشقة وعناء، وكثير جهد وبحث. وإنما يكفى لنا أن نطل على التاريخ القديم ونلم إلماما بتاريخ مصر القديم التى كانت هى مصدر القومية العربية المعاصرة بل قطبها ومركزها، فهذا هو فرعونها الذى كان فى عهد سيدنا موسى عليه السلام والذى أحس بالخطر يهدد كيانه وسلطته فلم يجد بدا من أن يلجأ إلى الفكرة الإبليسية من القومية المتعصبة المتطرفة ليدافع عن عرشه وملكه فقسم رعيته وسكان بلاده إلى فئتين متعاديتين متناحرتين إحداهما فئة المستكبرين من شيعته وآله المتعالين المتجبرين والثانية فئة المستضعفين من بنى إسرائيل المقهورين المستعبدين وكلتا الفئتين المخدوعتين قد خدعهما فرعون الدكتاتور المستبد و استغلهما من أجل مصالحه وللدفاع عن عرشه وملكه، فقرب إليه المستكبرين من الأقباط وجعلهم من قومه وخاصته وأما بنو إسرائيل المستضعفون فأعلن العداء والبغضاء ضدهم وصادر ممتلكاتهم واستخدمهم كخدم وعمال فى الحقول وبناء العمارات والمبانى والمهن المهينة الأخرى وجعل يعذبهم سوء

العذاب لكى يرضى رغباته فى الظلم والاضطهاد والإرهاب، فيقول الكتاب العزيز عن ذلك (٢)

" وَإِذْ نَجَّيْنٰكُم مِّن آلِ فِرعَونَ يَسُومُونَكُم سُوءَ العَذَابِ يُذَبِّحُونَ اَبنَاءَكُم وَيَستَحيُونَ نِسَاءَكُم وَ فِى ذٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَبِّكُم عَظِيمٌ. نَتلُو عَلَيكَ مِن نَبَأ مُوسى وَفِرعَونَ بِالحقِّ لقومِ يُؤمِنُونَ اِنَّ فِرعَونَ عَلَا فِى الأَرضِ وَجَعَلَ أَهلَهَا شِيَعًا يَستَضعِفُ طَائِفَةً مِنهُم يُذَبِّحِ اَبنَاءَهُم وَيَستَحى نِسَاءَهُم اِنَّه كَانَ مِنَ المُفسِدِين.

وقد أرسل الله عز و جل رسوله موسى إلى فرعون الطاغية المستبد وملأه المستكبرين ليهديهم إلى الصراط المستقيم من إقامة العدل بين الناس والكف عن الظلم والطغيان وإطلاق سراح المستعبدين من بنى إسرائيل ولكن فرعون وملأه لم يستجيبوا له وإنما أخذوا يطغون ويكذبونه ويعصون أمره وقرر فرعون أن يحشد قومه فنادى فيهم بأنه هو ربهم الأعلى وأن رب العالمين الذى أرسل إليهم نبيه موسى ليس بشئ ولا وجود له فى الكون مما جعل فرعون وجنوده يستكبرون يبغون الفساد فى الأرض ويسعون أن يملأوها ظلما وجورا وطغيانا وكفرا وغيا وضلالا وإلى ذلك ينبه الكتاب العزيز فيقول (٣):

هَل اَتكَ حَدِيثُ مُوسَى اِذ نَادهُ رَبُّه بِالوادِ المقدَّسِ طُوى اِذهَب اِلى فِرعَونَ اِنَّه طَغَى فَقُل هَل لَّكَ اِلى أَن تَزَكّى وَ اَهدِيَكَ اِلى رَبِّكَ فَتَخشَى فَاَراهُ الآيَةَ الكُبرى فَكَذَّبَ وَعَصى ثُمَّ اَدبَرَ يَسعى فَحَشَر فَنَادى فَقَالَ اَنَا رَبُّكُمُ الاَعلى فَاَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأولى!

وَقَالَ فِرعَونُ يَاَيُّها المَلَأُ مَا عَلِمتُ لَكُم مِن اِلهٍ غَيرِى
فَأَوقِد لِى يهَامَنُ عَلَى الطِّينِ لَعَلِّ اَطَّلِعُ اِلى اِلهِ مُوسَى وَ اِنِّى
لَاَظُنُّه مِنَ الكَذِبِينَ وَاستَكبَرَ هُوَ وَ جُنُودُه فِى الاَرضِ بِغَيرِ الحَقِّ
وَ ظَنُّوا اَنَّهُم اِلينَا لَا يَرجِعُونَ فَاَخَذنهُ وَجُنودَه فَنَبَذنهُم فِى اليَمِّ
فَانظُر كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظلِمِينَ !

ومن هنا يبدأ المنظر الآخر من قصة فرعون وموسى ففى ناحية يحاول زعيم القوميين وإمام الفكرة الإبليسية جاهدا أن تشيع الفواحش وتنتشر المناكير فى المجتمع المستعبد المقهور من بنى إسرائيل ويستضعفهم ويحتقرهم ويحط من قدرهم فى نظر أتباعه المستكبرين وفى ناحية أخرى يحتال ليخدع فئة المستكبرين من قومه فيستميلهم إلى جانبه ليؤيدوه ويساندوه ويشاركوه فى الظلم والاضطهاد، فيقول لهم (٤):

" قَالَ لِلمَلَأِ حَولَه اِنَّ هَذَا لَسحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أن يُّخرِجَكُم مِن أَرضِكُم بِسِحرِه فَمَاذَا تَأمُرُونَ قَالُو اَرجِه وَاَخَاهُ وَابعَث فِى المَدَائِنِ حشِرِينَ يَاتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٌ".

ثم يقول لهم وهو يسليهم ويعزيهم ويؤكد لهم انتصاره على موسى وأخيه ويحاول استرضاءهم وتحقير المستضعفين من بنى إسرائيل ويوافق رأى المستشارين من ملأه:

" فَاَرسَلَ فِرعَونُ فِى المَدَائِنِ حشِرِينَ اِنَّ هؤُلَاءِ لِشرذَمِةٌ قَلِيلُونَ وَ اِنَّهُم لَنَا لَغَائِظُوُنَ و اِنا لجمِيعٌ حذِرُونَ !

ويتجلى لنا منظر آخر من القصة فنرى فئة المستكبرين المتملقين المخدوعين من أتباع الدكتاتور الطاغية المستبد تتابعه وترى رأيه وتؤيد كلامه دون أن يفهموا لغته أو يفقهوا غرضه فقد فقدوا وعيهم وباعوا

عقلهم وأصبحوا كالأنعام بل هم أضل وقد أعطاهم الله العيون ليبصروا بها ولكنهم لا يبصرون بها وأعطاهم الآذان ليسمعوا بها ولكنهم لا يسمعون بها ولهم قلوب وعقول ليفقهوا بها ولكنهم لا يفقهون بها وذلك لأنهم لا يهمهم لاالبصر ولا العقل ولا الفكر وإنما يهمهم كل الهم متاع الدنيا ونصيبهم مما زودهم به من المال الحرام المنهوب المخطوف من أموال الدولة والشعب وليس لهم غرض غير الاستجابة إلى ما يدعوهم إليه الطاغية المستبد الخائن الجائر و دأبهم دأب الأتباع لكل طاغية مستبد خائن يستهوى قلوب الخونة المستكبرين المخدوعين ويستميلهم إلى نفسه ليشاركوه فى اقتراف الفظائع من الظلم والاضطهاد والإرهاب ضد عباد الله فى أرضه فيشاركونه فىالفظائع الهائلة المخزية ويؤكدون له تائيدهم ويفرحون بانتصاره حتى أنهم يحلفون بعز الدكتاتور وشرفه ، انظر إلى سحرة فرعون الذين لما يروا آيات موسى الكبرى ولما يؤمنوا به ويعلنوا إيمانهم و أخذوا يقولون(٥):

فَالقَوا حِبَالَهُم وَ عِصِيَّهُم وَقَالُوا وبِعِزَّةِ فِرعَونَ اِنَّا لَنَحنُ الغلِبُونَ فَالقى مُوسَى عَصَاهُ فَاِذَا هِيَ تَلقَفُ مَا يَأفكونَ فَأُلقِيَ السَّحَرَةُ سجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ العَلمِينَ رَبِّ مُوسَى وَ هَرُونَ!

إن طغاة العالم المستبدين، الذين يلجأون دائما إلى الفكرة القومية الإبليسية الفرعونية يصلون، فى نهاية المطاف، إلى مرحلة نهائية من استبدادهم وطغيانهم، وهى مرحلة المقاومة من قبل قيادة المستضعفين من العبيد المضطهدين والفئة المظلومة، وذلك هو مشهد محزن ومخزى فى نفس الوقت، إنه محزن لأننا نرى الطغاة المستكبرين المتألّهين قد وقفوا بين أيدينا

كبشر عادى بائس لا يقدر على شئ حتى أنه لا يستطيع أن ينقذ نفسه من الدمار المحتوم وهو مشهد مخزى لأن الطاغية البائس على الرغم من بؤسه وشقائه واستكانته وعدم قدرته على شئ وعلمه اليقين بذلك كله، يحاول أن يستميل بأوهى الأسباب وأوهن الوسائل ولا يريد أن يستسلم أمام الظروف القاهرة على أية حال وذلك ما يصير إليه فرعون اللعين أكبر الأئمة القوميين فى التاريخ البشرى!

ففى هذه المرحلة الأخيرة يرى الدكتاتور القومى خطرا مكشوفا يهدده ويتحداه وكذلك فرعون يحس بالخطر على عرشه وملكه حين باغته موسى عليه السلام بكلماته البليغة وبراهينه القاطعة ودلائله المسكتة مما جعل فرعون يلجأ إلى حيل يشترك فيها الطغاة المستبدون و إلى لغة يستخدمها كل دكتاتور وهى لغة التهم الكاذبة الملفقة من التخويف والتهديد لكى لا يجرؤ أحد من أتباعه على التفكير فى معارضته وعصيانه فيقول فرعون وهو يذكر موسى بما مضى من حياته (٦):

أَلَم نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَّ لَبِثتَ فِينَا مِن عُمُرِكَ سَنِينَ وَ فَعَلتَ فَعلَتَكَ الَّتِى فَعَلتَ وَ كُنت مِنَ الكفِرِينَ ؟

ثم يحاول أن يستخف قومه من المستكبرين المتملقين ليبقوا على دينه ولا يعصوه ويعد عيوب موسى ليخوفه ويرعبه فيقول له (٧):

وَنَادَى فِرعَونُ فِى قَومِهِ قَالَ يَقَومِ اَلَيسَ لِى مُلكُ مِصرَ وَهذِهِ الاَنهرُ تَجرِى مِن تَحتِى اَفَلَا تُبصِرُونَ اَم اَنَا خَيرٌ مِن هذَا الَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَّلَا يَكَادُ يُبِينُ. فَلَولَا اُلقِىَ عَلَيهِ اَسوِرَةٌ مِّن ذَهَبَ أَو جَاءَ مَعَهُ المَلَئِكَةِ مُقتَرِنِينَ فَاستَخَفَّ قَومَه فَاَطَاعُوهُ اِنَّهُم كَانُوا

قَومًا فسِقِينَ فَلما آسَفُونَا انتَقَمنَا مِنهُم فَأَغرَقنهُم اِنَّهُم كَانُو قَوما فسِقِينَ.

فهذا هو مصير فرعون إمام القوميين الطغاة الأول وهذه هى نهاية قصته مع سيدنا موسى عليه السلام وهذه هى لغته التى يستخدمها كل دكتاتور طاغية جاء وسوف يأتى بعده مع قيادة المقاومة الشعبية فى كل زمان ومكان! وذلك هو موقف الكتاب العزيز عن فكرة القومية المتعصبة المتطرفة التى مأساها الحقد الدفين والحسد الكمين وغرضها هو تحقيق ما يرغب فيه كل طاغية مستبد يريد الفساد فى الأرض وتعذيب العباد واضطهاد المستضعفين من البشر! وهى فكرة خاطئة ورغبة دنئية تهدف إلى خلاف ما أراد الله لعباده من الوحدة البشرية والأخوة والمساواة وتكريم بنى آدم الذين خلقهم الله فى أحسن تقويم وكرمهم تكريما وفضلهم على ما خلق تفضيلا! وذلك ما تمتاز به شريعة العدل شريعة الله التى جاء بها محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم! تلك الشريعة العادلة السمحة التى قضت على التفرقة بأنواعها من العنصر والجنس واللون! فقد أعلن يوم فتح مكة وهو يخاطب أهلها من قريش، أئمة فكرة القومية العربية الجاهلية يقول بأن "الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء" وقد مزق صلى الله عليه وسلم نخوة الجاهلية تحت قدميه الشريفتين وهو على أرض الحرم ثم تكرر ذلك الإعلان واجب الإذعان فى حجة الوداع حيث نهى عن الفخر والمباهاة فقال: "كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى".

وقد روى الإمام ابن تيمية ، رحمه الله، بأن أعرابيا حدث العهد بالإسلام مر بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اجتمعوا فى حلقة تضم المهاجرين والأنصار والعرب والعجم فكان فيهم أبو بكر و عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم من المهاجرين، وسعد بن عبادة وأبو أيوب وعبادة بن الصامت من الأنصار رضى الله عنهم وفيهم صهيب الرومى يمثل الإنسان الأبيض الأوربى وسلمان الفارسى يمثل الجنس الأسمر الآسيوى وبلال الحبشى يمثل الإنسان الأسود الإفريقى، رضى الله عنهم أجمعين فقال الأعرابى، وهو يعلق على المجمع الإسلامى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمثلون الأخوة والمساواة الإسلامية والوحدة البشرية التى أعلن بها الكتاب العزيز(٨)، أستطيع أن أفهم اجتماع الأنصار مع المهاجرين وإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ولكن ما لهؤلاء الأعاجم قد اجتمعوا مع العرب!؟ وسمعه الصحابى الجليل معاذ بن جبل رضى الله عنه فغضب على الأعرابى. فأخذه بتلابيبه يجره إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! هذا امرؤ فيه نخوة جاهلية يفتخر بعروبته وقوميته العربية فغضب رسول الله غضبة لم يعهد ها أصحابه فخرج من حجرته غاضبا يجر رداءه على الأرض فأعلن قائلا: الصلوة جامعة! ثم صعد المنبر فقال: أيها الناس! إن الرب رب واحد وأن الأب أب واحد فكلكم لآدم و آدم من تراب ، ولا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى وأن العربية ليست بأب ولا أم لأحد منكم وإنما هى لسان فمن تكلم بالعربية فهو عربى ومن وجد له أبوان (أى جد وأب) فى الإسلام فهو عربى!

فهذا ما أعلن به المصطفى صلى الله عليه وسلم فى مكة المكرمة ثم بالمدينة المنورة وهى ضربة قاضية على التفرقة العنصرية والقومية العربية

المتعصبة المتطرفة إذ هى فكرة إبليس وعمل فرعون وكلاهما ملعون على ألسنة البشر أجمعين! وهذا سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثانى الخلفاء الراشدين وأشد الناس فى أمر الله وما جاء عن المصطفى صلى الله عليه وسلم يقف يوم الحج حيث وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلن بالكرامة البشرية والأخوة والمساواة الإسلامية ويرفض القومية العربية الجاهلية فيتابعه خليفته الفاروق بين الحق والباطل فيرفض نخوة الجاهلية وفخرها بالعنصرية ويمزقها تحت قدميه حين يخاطب أحد الشباب العرب الذى لم يعجبه تفوق مصرى مسلم غير عربى (لأن مصر لما تصبح عربية وإنما كانت قبطية آنذاك!!) فضربه الشاب العربى بالسياط فاقتص منه عمر لذلك المصرى المسلم غير العربى أمام والد الشاب العربى عمرو بن العاص وقال: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا! ورفض الاعتراف بفضل القومية العربية المتطرفة ونخوتها وإنما أهانها ومزقها تحت قدميه بالقول والعمل فى نفس الوقت!

ويروى ابن كثير فى تاريخه وقد اطلع عليه شيخنا الإمام الندوى واقتبس منه فى كلمة له قد ألقاها بمناسبة من المناسبات فقال: "لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره ونزع موقيه فأمسكهما بيده وخاض الماء ومعه بعيره، فقال له أبو عبيدة: قد صنعت اليوم صنيعا عظيما عند أهل الأرض، صنعت كذا وكذا! قال فصك عمر فى صدر أبى عبيدة وقال له: أولو غيرك يقولها يا أبا عبيدة إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس وأقل الناس فأعزكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله!!"

وهذا هو شاعر الإسلام الدكتور العلامة محمد إقبال قد بذل أقصى جهده فى الفكر وانفق حياته كلها يرفض الوطنية المتطرفة ويعارض القومية

المتطرفة ويراها فكرة خبيثة دخيلة جاءت من أوربا الصليبية الحاقدة ولا صلة لها بالإسلام ويقول فى بيت شعر أردى له ما معناه (٩): "لا تقس أمة الرسول الهاشمى صلى الله عليه وسلم على ما جاءت به الأمم الغربية الصليبية من فكرة القومية المتعصبة المتطرفة لأن الأمة الإسلامية تختلف تماما فى نسيجها وخصائصها عن فكرة الغرب القومية".

ويقول إقبال فى ديوانه جاويد نامه أو رسالة الخلود على لسان الشيخ جمال الدين الأفغانى والترجمة العربية لشيخنا الباقورى (١٠) "إن الباقعة الأوربى هو الذى علم أهل الدين الوطنية والقومية أما هو فلا يزال يبحث عن مركز لجمع الشعوب والأوطان، ولكنه بذر فى الشرق بذور الخلاف والانشقاق وشغل شعوبه بمصر و الشام والعراق، فتحرر أيها المسلم الشرقى! من قيود الوطنية والقومية، وكن عالميا آفاقيا يعتبر كل بلد وطنه وكل أرض أرضه، إن كنت تميز بين الجميل والقبيح فلا تربط نفسك وقلبك بالتراب والحجارة والقرميد، إن الدين هو أن ينهض الإنسان من الحضيض ويعرف قيمة نفسه، إن الذى عرف الله وآمن به لم يسعه هذا العالم ولم ينحصر فى الجهات!"

إن الفكرة القومية الإبليسية الفرعونية قد أحياها وتبناها الإنسان الغربى الأبيض الذى، على الرغم من مفارقته الدين المسيحى وطلاقه إياه طلاقا بائنا لم يستطع أن يتحرر من العقدة الصليبية التى إبتلى بها خلال أربعة قرون من الحروب الصليبية التى خسرها وهزمه فيها الشرق الإسلامى الذى أغار عليه الغرب المسيحى دون مبرر ولا داعية تدعوه إليها غير المؤامرة اليهودية والصرخة البابوية الفارغة ورغبة الغرب الملحة فى نهب الثروات الآسيوية الإفريقية خلال عصر الحروب الصليبية وفيما

بعدها من عصور الاستعمار الغربى البغيض الغاشم! وأن الويل الطويل والدمار المهيب الذى جرته الحربان العالميتان الأولى والثانية على أوربا لم يكن لهما سبب غير هذه الفكرة الإبليسية الفرعونية من القومية والوطنية وقد عادت أوربا تبحث عن أساس لوحدتها وقد اهتدت أخيرا فى زعمها إلى أساس مادى جغرافى فأصبحت أسرة أوربية متحدة إلا أن هذه الوحدة، وإن تراءت لهم خلابة معجبة، ليست إلا بيت العنكبوت، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت!!

إن الإنسان الأوربى الأبيض ينجح فيما ينويه من تحقيق وحدته والتعاون الشامل بين أشتاته من القوميات العتيقة البالية التى كانت متعادية متعارضة فيما مضى من الزمن أم لا ينجح فى ذلك وتعود إليه العداوة والبغضاء القديمة التى تكون كالعرتكمن حينا ثم تنتشر على حد تعبير شاعر عربى قديم ولكن الذى ليس فيه شك ولا ريب هو أنه قد تمكن ذلك الأوربى الصليبى الحاقد من بذر البذور لتلك الشجرة الخبيثة والفكرة الإبليسية الفرعونية من القومية والوطنية فى جسد الأمة الإسلامية فمزقت وحدتها وشتت شملها وفرقت جمعها وقد كانت أمة واحدة قامت على أخوتها ومساواتها فيما مرَّ من الزمن عليها، وأغرب الأشياء أن هذا الإنسان الأوربى الأبيض وسماسرته الأمريكان لا يسمحون لهذه الأمة أن تعود إلى ما كانت عليه من الوحدة والأخوة والمساواة ، بنيانا مرصوصا ، لأنهم يخافون من وحدتها كما يخافون من تفرقهم!

وإن الذى لا شك فيه ولا ريب هو أن النساء اليهوديات اللاتى دخلن فى بيوت الأتراك العثمانيين كزوجات لهم من زعمائهم وقادتهم وأمرائهم ووزرائهم، هن اللاتى بذرن بذور القومية التركية المتطرفة فى

قلوب الشباب الأتراك الذين ثاروا على الخلافة العثمانية كما أنهم أبعدوا غير الأتراك من الوظائف الحكومية والمناصب الوزارية مما أثار العداوة والبغضاء فى نفوسهم وعلى رأسهم العرب فإن القومية العربية إنما كانت هى رد الفعل للقومية التركية بالإضافة إلى ما ساهم فيها الجواسيس الأوربيون من أمثال "الشيخ لورينس العربى" وعملاء الاستعمار الغربى من العرب المسيحيين فى سوريا ولبنان وغيرها من البلاد العربية وكذلك كانت القومية الإيرانية هى رد الفعل للقومية العربية التى ترجع جذورها إلى العصر الأموى والسبائية اليهودية التى جثمت على صدر فارس أو إيران فى القديم والحديث! إن الأضرار الفاضحة الهائلة والخسائر الشاقة الباهظة التى أصابت العالم الإسلامى على أيدى المستعمرين الغربيين من القتل والإعدام والحبس والنفى والنهب والحرمان لاقيمة لها بالمقارنة والنسبة إلى ما خسرته أمة الإسلام بهذه الفكرة الإبليسية الفرعونية التى أتت على وحدتها وفرقت جمعها وشتت شملها ومزقت صفوفها وفتحت عليها أبواب التفرقة العنصرية التى قد جاء الإسلام للقضاء عليها والتى أفسدت على الأمة الإسلامية كل جهد يهدف إلى توحيدها وحال دون كل محاولة للحياة الكريمة من الوحدة والعز والأمن والرخاء!

فهذه هى الخلفية المؤلمة المؤسفة التى أقلقت شيخنا الإمام أبا الحسن على الندوى، رحمه الله، وأقامته وأقعدته فاضطرب قلبه المؤمن العامر بحب المصطفى صلى الله عليه وسلم وحب أمته العربية الإسلامية فراح ينادى بضرورة العودة إلى الإسلام من جديد والرجوع إلى الراية المحمدية التى تضمن حياة الكرامة والعز والشرف والدور القيادى للأمة العربية الإسلامية التى أخرجت للناس تأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر

وتدعوهم إلى الخير وسعادة البشرية ومستقبلها الزاهر، لكى تتمكن الأمة العربية من استعادة مجدها الذاهب ودورها القيادى السليب لأن دور العرب فى بناء المدنية وتكوينها إنما هو دور الإعطاء والإفاضة ودور التخطيط والتصميم ودور الابتكار والأصالة ودور الأستاذية والإشراف.... وليس دور التقليد والاعتماد على الغير والاستيراد من الخارج!! (١١)

وقد قام الشيخ الندوى بدوره البناء المفيد البارز فى الدعوة إلى وحدةالعرب وعودتهم إلى الإسلام والراية المحمدية فنراه يتحدث على لسان العالم البشرى المعذب المنكوب فيخاطب الجزيرة العربية ويعاتبها ويشكو إليها ما تعانى الإنسانية من المصائب والآلام والشدائد والأحزان ثم نراه يتحول إلى دور الترجمان للجزيرة العربية فيتحدث إلى العالم البشرى فيعتذر إلى البشرية المنكوبة ويرد على ما أثاره من الأسئلة فى حديث العالم إلى الجزيرة وكل ذلك باسلوب بليغ أخاذ ملؤه الحب والإخلاص والإيمان واليقين!

ثم يقوم الشيخ الندوى بجولة فى العالم العربى على نطاق واسع ليخاطب الدول العربية الشقيقة ويتحدث إلى أهلها الكرام المؤمنين فيذكرهم جميعا بدورهم التاريخى لابل بدور صنع التاريخ وغير مجراه حين حملوا راية الإسلام المباركة فمرة يخاطب مصر لتستمع إليه وتعرف دورها التاريخى وتستعد لدورها القادم فيوصيها وينصح لها كناصح صادق أمين فيقول لها: "احرصى يا مصر على رجولة أبنائك وأخلاقهم وصونى شبابهم وشرفهم ودينهم وصحتهم من أن يعبث بها العابثون أو يتجر بها المتجرون لمن يعيشون على أثمان الأعراض والأخلاق ويحبون أن تشيع الفاحشة فى

الذين آمنوا لترويج بضاعتهم و تزدهر تجارتهم ، أولئك هم أصحاب الروايات الخليعة والصور العارية والأدب المكشوف فإنك يامصر فى محل الزعامة والقيادة للشرق الأوسط. وفى طريقك إلى الزعامة والقيادة للعالم الإسلامى، ولا تأتى الزعامة والسيادة إلا بعد الاستقامة والثبات فى مزالق الإنسان والنجاح فى امتحان العفة وطهارة الأخلاق!!""

ومرة أخرى نستمع إليه وهو يذيع حديثه إلى سورية وشعبها المؤمن النزيه من دار الإذاعة السورية فيذكر أهلها بالدور العظيم المجيد الذى ليس له نظير ولامثال الدور الذى قام به خلفاؤها وزعماؤها وعلماؤها إلى أن يذكرها بمؤهلات القيادة وخصائصها فيقول لها بكل حب وإخلاص: إن الأمم يا سورية لا تسود باللغات والثقافات ولا تسود بالمدنيات والقوميات إنما تسود (الأمم يا سورية) بالرسالات والدعوات والأهداف والغايات، وكلما كانت هذه الرسالات أعم للشعوب والأمم وأعود على الإنسانية بالخير والسعادة، وكلما كانت هذه الأهداف والغايات أسمى وأعلى وأبعد عن الأغراض الشخصية أو الحزبية أو الإقليمية وأعرق وأعمق فى الإنسانية كانت سيادة هذه الأمم التى تحتضن هذه الرسالات وتدين بهذه الغايات أعمق وأرسخ وأوسع وأقوى (١٢)!!"

وتستمر جولة الشيخ الندوى فى عواصم العالم العربى وتستمر أحاديثه المذاعة الموجهة إلى الأمة العربية التى هو نفسه من أرومتها ويعتز بتلك الصلة فيخاطب الكويت ويلقبها بزهرة الصحراء ويعود إلى مصر لينبه أهلها المؤمنين الأوفياء فيقول لهم بأن مصر جوهرها إسلامى إيمانى محمدى مهما تراكمت عليه الأتربة ، ونراه يقدر القومية فيضعها فى ميزان العلم والتاريخ ويذكر العرب واجبهم ويرجوهم أن لا يحرجوا الأوفياء

للإسلام بموقفهم ثم يعاتبهم ويوبخهم فيسائلهم قائلا: أجاهلية بعد الإسلام أيها العرب!؟ولكن له حديث صريح مع العرب القوميين وغير القوميين فيستوقفهم ليستمعوا إليه فيقول لهم: "اسمعوها منى صريحة أيها العرب!!"

والشيخ الندوى، رحمه الله، يبدأ كلمته الصريحة الموجهة إلى الأمة العربية بالاعتراف الصريح منه بأنه يراها أحق الأمم و أجدرها بالإعجاب والإكبار والتقدير والمجاملة والمدح والإطراء من قبله ولكنه لا يراها تناسب كلمته الصريحة بل يراها من كتمان الحق ويعتبرها خيانة عظيمة بهذه المناسبة وإنما يعتقد بكل ثقة ويقين فيصرح قائلا: "ولكن عقيدتى ودينى الذى أؤمن به وأدين، يفرض على أن أكون صادقا صريحا، وصلتى بهذه الأمة الدينية والنسبية والثقافية تلزمنى بالصدق والصراحة والوفاء والأمانة ثم اقتناعى بأن العرب الأمة المختارة لحمل رسالة الإسلام قد كتبت لهم الوصاية على العالم ماداموا يدينون بهذا الدين الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلمى بأن هذه الوصاية لم تحول عنهم بعد ولم تبرز أمة على منصة العالم تخلف هذه الأمة وتضطلع بالإمامة!!"

والشيخ الندوى يحب العرب حبا شديدا وصادقا وهذا الحب الصادق الشديد هو الذى يجعله يقلق ويضطرب لما يخشى عليهم من الأخطار التى تهددهم وتنظرهم فى العاجل من المستقبل فيود أن ينتبهوا إليها ويستعدوا لها قبل أوانها ليتمكنوا من مواجهتها على وعى واستعداد فيدافعوا عن أنفسهم ، ومن ثم يصرح فى بداية كلمته الصريحة التى يوجهها إلى الأمة العربية من المؤمنين غير القوميين والقوميين جميعا، انظروا إلى حبه للعرب وإخلاصه وصدقه لهم"والذى يطمعنى فى هذه الكلمة و يغرينى

بها هوحبى وحرصى على أن يستعيد العرب مكانتهم العالمية ويتسلموا هذه القيادة المباركة التى يقول ا لله تعالى عن حملتها(١٣):

وَجَعَلنَا مِنهُم أَئِمَّةً يَهدُونَ بِأَمرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بآيَتِنَا يُوقِنُونَ (السجدة: ٢٤).

وقد قسم الشيخ كلمته الصريحة هذه إلى القسمين فخص القسم الأول منهما للعرب الإسلاميين غير القوميين فذكرهم بما انتصر العرب المسلمون الأوائل وحققوا أهدافهم وأبلغوا رسالات ا لله إلى أقاصى الأرض وأدانيها لأن الرسول المصلح المربى صلى ا لله عليه وسلم قد علمهم وزكاهم وأعدهم إعدادا وحددلهم معالم الطريق تحديدا ووضع لهم الأسس والمبادئ قد ضمنت لهم النجاح لما عملوا بها حق العمل وكان ذلك من فضل ا لله عليهم فكانوا كما قاله الرسول صلى ا لله عليه وسلم وهو يخاطب الأنصار بعد تقسيم الغنائم يوم حنين وأحب الشيخ أن يرددها للعرب الإسلاميين بالمناسبة(١٤).

"ألم آتكم ضلالا فهداكم ا لله بى، وعالة فأغناكم ا لله بى، وأعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة ا لله إخوانا؟!" فلو لا الرسول صلى ا لله عليه وسلم وتعليمه لهم لما استطاعوا أن يقوموا بما وفقهم ا لله ولن يستطيع العرب اليوم أن يستعيدوا ما فقدوه من المجد والدور القيادى إلا إذا عادوا إلى ماجاء به المصطفى صلى ا لله عليه وسلم ولن يصلح آخرهم إلا بما صلح أولهم وذلك أمر ا لله وتقديره لعباده المؤمنين وسنته فيهم فلن تجد لسنة ا لله تبديلا!!

وأما القسم الثانى من كلمة الشيخ الصريحة فقد خاطب فيه العرب القوميين الذين تناسوا المصطفى صلى ا لله عليه وسلم وما جاء لهم بشريعة

العدل والسلام وما قام به من تربية الأمة وإعدادها فرغبوا عن ذلك كله ونبذوه وراء ظهورهم واتبعوا ما تلاه عليهم أعداء الإسلام من هتافات القومية والوطنية وأسسوا حياتهم على الوحدة العربية والوطن العربى والرسالة الخالدة مما يجعل الشيخ يوجه إليهم سوالا: فما هى رسالة العرب؟ هل كان لهم أن يمثلوا الدور التاريخى العظيم الذى مثلوه لولا المصطفى صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الرسالة السماوية الخالدة التى تسمى الإسلام؟ وهل كان للعرب أن يبلغوا ما بلغه اليابانيون من الرقى والتقدم حتى ولو أنفقوا فى ذلك ألفى سنة على أساس قوميتهم ووطنيتهم؟! وقدعاشوا آلاف السنين كأرذل قوم على حاشية الروم والفرس ولم يحققوا شيئا يذكر رغم شعرهم وشعرائهم وأيامهم فى الجاهلية! وأما الرسالة الإسلامية الخالدة الفريدة فقد جعلتهم يوفقون فى تحقيق مالم يوفق فيه قوم قبلهم ولا بعدهم خلال ربع قرن من الزمان!! فالعرب كانوا ما كانوا بالإسلام ولن يكونوا إلابه حتى ولو مضى عليهم آلاف السنين كما مضى على آبائهم قبل الإسلام ولكنهم لم يفعلوا شيئا!

وأخيرا وليس آخرا يوجه الشيخ الندوى نداء إلى العرب ليعودوا إلى الراية المحمدية من جديد إذا أرادوا القيام بدور قيادى بين أسرة الأمم فإنهم أغنى الأغنياء بالإسلام وشريعته وثقافته وأمادون ذلك فهم أفقر الفقراء! إنهم إذا عادوا إلى الراية المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام فهم أغنى الشعوب والأمم ويملكون مالا يملكه غيرهم، إنهم إذا أرادوا لهم دورا حضاريا وثقافيا وعلميا وأدبيا فلديهم ثلاث قوات ليس لها نظير ولا مثال: لديهم القرآن الكريم ولديهم لغته العربية ولديهم شريعته وقوته الروحية ألا وهو دين الإسلام! فهذه ثلاث قوات لو خرج بها العرب

لفرضوا أنفسهم كأمة على الأمم كلها فإنها لا تملك القرآن ولا العربية ولا الإسلام! علموا الأمم القرآن أيها العرب فلن يحول دونكم أحد! وعلموا الناس دينكم الإسلام وبلغوهم آخر رسالات الله ولكم حق التبليغ ولا يمكن لأحد أن يمنعكم عنه! فهذا هو دور العلم والتعليم والتبليغ في جوآمن ! والعالم في حاجة ماسة إلى القرآن والعربية والإسلام وذلك في أيديكم أيها العرب: انهضوا باسم الله وتقدموا على بركة الله وانصروا الله ينصركم! وَإِن تَتَوَلَّوا يَستَبدِل قَوماً غَيرَكُم ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمثَالَكُم (محمد:٣٨).

الهوامش

١- العرب والإسلام ص١٧١ مكة المكرمة ١٩٨٨م

٢- سورة البقرة ٤٩ والقصص٤

٣- النزعات ١٥-٢٥ والقصص٣٨-٣٩

٤- الشعراء ٣٥، ٥٤-٥٦

٥- الشعراء ٤٤

٦- الشعراء ١٧-١٩

٧- الزخرف ٥١-٥٤

٨- آل عمران ١٠٣، النساء:١ ، الحجرات ١٠

٩- كليات إقبال الأردية ص٤٥٣

١٠- روائع إقبال ص١٦٨

١١- العرب والإسلام ص٦٨ و ٤٥

١٢- نفس المرجع ص ٧٤

١٣- نفس المرجع ص٧٦

١٤- نفس المرجع ص٧٨